السـادات

من 15 مايو إلى ورقة أكتوبر

المصور:15-5-74

بقلم صبرى ابو المجد

فى أعقاب الانفصال، الذى وقع فى نهاية سبتمبر (أيلول) 1961 أخذت بعض مراكز القوى، تكبر، وتنمو، وتؤثر فى كثير من مجالات العمل السياسى، والاقتصادى، والاجتماعى، الأمر الذى أدى إلى مزيد من الانحرافات الخطيرة فى أكثر من ميدان.

والذى لا جدال فيه- وهذه حقيقة تاريخية يجب أن نعترف بها شئناً، أم لم نشأ- إن مراكز القوى، وانحرافاتها مسئولة إلى حد كبير عن الهزيمة التى لحقت بنا فى 5 يونيو "حزيران" 1967.

وليس سراً، أن الرئيس عبد الناصر، طيب الله ثراه حاول أكثر من مرة، قبل النكبة وبعدها القضاء على مراكز القوى، وانحرافاتها الخطيرة فنجح فى بعض الأحيان، ولم ينجح فى بعضها الآخر، وحتى لا نتهم من قبل المشككين والمتشككين، والمراهقين السياسيين، وحملة الشعارات الكاذبة والذين لا يفكرون إلا بحناجرهم، نبادر فننقل فقرات من كلمات الرئيس عبد الناصر، طيب الله ثراه- فى هذا الموضوع.

فى العيد الرابع عشر للثورة، وقبل أن تقع النكبة بما يقرب من عام، التقى الرئيس عبد الناصر بالمبعوثين، وكان من بين ما قاله، بالحرف الواحد: "فى المرحلة الجاية، بقى علينا، إن احنا نقوم، الانحراف، الناس فيها كويس، وفيها الوحش، وفيها ناس بتنحرف، إذن، اللى بينحرف لا نرحمه، ويجب أن نقوم الانحراف. والانحراف بيظهر على أشكال مختلفة وأشكال متعددة ولكن نستطيع الحقيقة برضه خلال العمل السياسى.. إن إحنا نعرف الانحراف، ونقوم الانحراف".

ومرة أخرى وبعد النكبة ببضعة أشهر قال الرئيس عبد الناصر بالحرف الواحد: "أنا باقول لكم بصراحة.. أنا كنت أرى بعض مظاهر الانحرافات قبل 5 يونية ولكنى لم أكن

أتصور مداه، حاولت بكل ما أستطيع... نجحت أحياناً ولم أر الحقيقة كلها فى أحيان أخــرى، وأنا فعلاً، كنت مشفق على البلد من تكتلات القوى، ومركز القوى".

ولهذا.. ومن أجل ذلك، فإنه عندما تحدث الرئيس عبد الناصــر– فــى بيــان 30 مارس– عن أبرز التحولات، التى حققناها بعد النكبة كان من بين ما قاله عن مراكز القوى:

"إننا استطعنا تصفية مراكز القوى التى ظهرت.. ولقد تجاوزت الأمور حداً لا يمكــن قبوله بعد النكسة، لأن مراكز القوى وقفت فى طريق عجلة التصحيح خوفاً من ضياع نفوذها، ومن انكشاف ما كان خافياً من تصرفاتها، وكان ذلك لو ترك وشأنه، كفيلاتً بتهــديم جبهــة الصمود الشعبى، ولذلك فلقد كان واجباً، بصرف النظر عن أى اعتبار، تصفية مراكز القوى، ولم تكن تلك المسألة سهلة إزاء المواقع التى كانت تحتلها مراكز القوى، وفى إطار "الظروف الدقيقة التى كان يعيشها الوطن". ى

والذين يذكرون قصة خزانة الرئيس جمال عبد الناصر، والأوراق التى سرقت منها، يعرفون أن فى تلك الأوراق ملاحظات عميقة حول انتخابات الاتحاد الاشتراكى التى تمت بعد النكبة وما جرى فيها، واعتراضات الرئيس عبد الناصر على تلك الانتخابات، ورغبتــه فــى تصحيحها و...و...

وقد حاولنا فى دراستنا، التى نشرناها فى العام الماضى تحت عنوان "15 مايو، عندما نكتبه تاريخاً"... توضيح هذه النقطة وغيرها من النقاط التى تبين أن بعض مراكز القوى تلك لم تكن تستهدف إلا السلطة، وقد بلع بها الأمر أنها حاربت الرئيس عبد الناصر نفسه فى يوم 9 يونيو "حزيران" عندما تنحى عن الحكم، وكلنا نذكر ما فاه به الــبعض فــى الجيــزة فــى اجتماعات مع طلبة جامعة القاهرة، ضد عبد الناصر، وضرورة، أن يتحمل وحــده مســئولية النكبة وأن يستمر فى تنحيه عن الرئاسة بل أننا لا نزال نذكر أن الرئيس جمال عبد الناصــر حتى قبل وفاته بأشهر قليلة قلم أظافر بعض مراكز القوى، وما حادث مطار القــاهرة، ومــا جرى فيه "للبعض" ببعيد !

ومنذ الأيام الأولى لاختيار الشعب – بالإجماع– أنور السادات ليكون رئيساً، وقائــداً، فى أخطر أيام التاريخ وأشدها ظلمة عدت بعض مراكز القوى– كما قلت ذات مــرة– إلــى السيطرة الكاملة على أى رئيس جديد بحيث لا يكون له من الرياسة، إلا الاسم، ومن الســلطة إلا الرسم..

وكثيرون منا لا يزالون، حتى اليوم، يذكرون الحصاد الإعلامى- وقد كان الإعلام فد أيدى بعض مراكز القوى- الذى ضرب من حول الرئيس السادات حيث لم تكن تلك المراكـز تريد لرئيس الجمهورية المنتخب أن يتصل بشعبه، أو أن يعرف الشعب أخبار رئيسه.

وقد صبر الرئيس السادات إلى أبعد حدود الصبر، وتحمل – للحقيقة والتاريخ- ما لم يتحمله بشر.

وقد كنا كصحفيين نسمع ما يدور فى اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا، بالتفصيل رغم أن كل اجتماعاتها سرية غير أن أولئك الذين كانوا ينقلون ما يحدث وما يقال- وفيه الكثير مما لا يجب أن يحدث أو يقال- لا يريدون إلا إحراج الرئيس السادات وإظهار قوتهم وإظهار أنه ضعيف فى الوقت نفسه.

ولقد كان غريباً وعجيباً أن أولئك المتنافرين المتناكرين الذين يستخدمون التسـجيلات ضد بعضهم التقوا معاً عند هدف واحد، هو انتزاع السلطة الفعلية من القيادة الشرعية، وكـان الكثيرون من أبناء الشعب الذين يعرفون ما يجرى فى اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا واللجنة المركزية، ويحسبون بعنف الصراع الدائر فى القيادة السياسية العليا يتساءلون: إلى متى يصبر الرئيس السادات على ما يجرى؟!

إلى أن كان الاحتفال بعيد العمال أو مايو "أيار" 1971 فتحدث الرئيس السادات لأول مرة وكان فى حديثه عنيفاً للغاية.. وكان من بين ما قاله السادات: "أن الشعب هو صاحب هذا البلد وهو الذى سيخوض مع قواته المسلحة معركة حياته، وليس من حق أى فرد أو جماعـة مهما كانت أن تزعم لنفسها قدرة منفصلة عن قدرة هذا الشعب وأن تـدعى لنفسـها موقفـاً تستطيع أن تفرض من خلاله رأيها على جموع الشـعب، أو أن تتسـتر وراء شـعارات أو مناورات، تحاول أن تشكل من خلالها مراكز قوة تفرض منها وصايتها على الشعب".

وكان من بين ما قاله الرئيس أنور السادات كذلك:

"أننى إلى هذا اليوم لم ألجأ إلى إجراء استثنائى واحد، بل على العكس، كل الإجراءات الاستثنائية ابتدينا نحلها علشان نخلى القضاء هو المرجع".

ومع بداية خطاب الرئيس السادات فى عيد العمال بدأت حركة التصحيح التى عجلت بها- كما تقول ورقة أكتوبر- مؤامرات بعض مراكز القوى.

وللحقيقة والتأريخ أيضاً نقول أن الرئيس السادات حاول أكثر من مرة توجيه النصح إلى بعض تلك المراكز، كما أنه أكثر من مرة أيضاً عرض الاحتكام إلى الشعب، غير أن محاولاته قد فشلت كما أن اقتراحه الخاص بالاحتكام إلى الشعب قد رفض أيضاً .

وللحقيقة والتأريخ كذلك نقول: أن الرئيس السادات كان يقدر تمام التقدير خطورة مراكز القوى ومدى سيطرتها على أجهزة الدولة التى فى يدها السلطة إلا أنه لم يتردد لحظة واحدة فى القضاء عليها وذلك "حتى نضع شعبنا فى الوضع الأكثر ملاءمة لتحمل إعياء المعركة والمساهمة فى إحراز النصر".

وقد كان فى مقدمة الأسباب التى جعلت الرئيس السادات يقدم على حركة التصحيح محققاً الرغبة العميقة لدى الشعب فى القيام بتلك الحركة ثقته بفطرة جماهيرنا السليمة ومن التفاف الشعب حول قيادته خلال معركة المصير...".

وقد عبرت ورقة أكتوبر تعبيراً صادقاً عن حركة التصحيح عندما قالت، على لسان الرئيس السادات:

- كان لابد أن يزول الخوف، وأن تختفى بذور الشك، وأن تتراجع الحزازات والأحقاد، وأن يحس كل فرد أنه آمن على يومه، وعلى نفسه وأهله، ورأيه، وماله.
- لم تقف حركة التصحيح عند حد تنحيه مراكز القوى عن الطريق، ولكنها انطلقت إلى تحقيق جوهرها الأهم، بالعمل على إرساء سيادة القانون، وإعزاز كلمة القضاء، وإقامة دولة المؤسسات التى يعرف المواطن من خلاله حقوقه وواجباته بوضوح، ويمارسها فى طمأنينة!
- كان جوهر حركة التصحيح مراجعة الإجراءات الاستثنائية بشتى صورها، واستقرار القوانين والنظم، والمؤسسات والعلاقات فى إطارات واضحة المعالم معروفة مسبقاً للمواطن، يمارس- من خلالها- نشاطاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية من أجل تحقيق ذاته، وتطوير حياته باستمرار.

www.anwarsadat.org